

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الدرس الثاني الأربعون

[ قراءة المتن ]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:  
يقول المؤلف - رحمه الله تعالى -:

#### باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) وفي الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: "قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار"، وفي رواية "لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر".

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم قال شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب - رحمه الله -:-

#### ◆ "باب من سب الدهر فقد آذى الله"

هذه جملة مفيدة: من سب الدهر فقد آذى الله، "من": هنا بمعنى الذي، "سب الدهر" ما السب؟ حقيقة السب هو الشتم واللوم السب في اللغة هو الشتم واللوم، "باب من سب الدهر"، "وأما "الدهر" هو الزمان الظرف الذي جعله الله تعالى محلاً لقيام الحوادث، "فقد آذى الله" هكذا آذى الله الأذى المقصود ها هنا هو كما قال أهل اللغة ما خف أثره وقل ضرره هذا هو الأذى كما قال الله - عز وجل - (لن يضرركم إلا أذى) فالأذى أخف أنواع الضرر، ويصح أن يقال آذى الله؛ لأنه لا يلزم من الأذية أن يناله ضرر فإنه قد قال في الحديث القدسي (يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني) فلا يستطيع أحد أن يضر الله تعالى لكن أن يؤذيه بمعنى أن يصدر منه ما يسخطه من قول أو عمل هذا لا ريب أنه موجود (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله) (فلما آسفونا) فالله - سبحانه وتعالى - يسخط ويغضب لما يصدر من بعض عباده من قول أو عمل، ويصدق على ذلك الشيء الذي صدر منهم أن يقال عنه آذى وأنهم آذوا الله تعالى بهذا الأمر ولهذا قال ربنا (لن يضرركم إلا أذى) أي أنهم لن ينالوا منكم، ولم يسلبوا إيمانكم ولن يزرحوكم عن دينكم لكنهم يزعمونكم بأنواع المزعجات، من العدوان أو من الكلام أو ما أشبه ذلك.

إذا كما تعودنا أن نذكر مناسبة الباب للكتاب وكتاب التوحيد قصد به مؤلفه تحقيق التوحيد لرب العالمين، والتحذير مما ينافي أصله أو الواجب فيه أو كماله

### ◆ فهذا الباب مناسبتة لكتاب التوحيد:

أن من سب الدهر فقد أثبت فاعلا مع الله وهذا شرك في الربوبية، الذي يسب الدهر كأنما يقوم في قلبه أن الدهر فاعل بنفسه فكأنه أثبت فاعلا مع الله وهذا شرك في الربوبية إذ الله عز وجل هو الخالق لا خالق سواه وهو المالك فلا مالك سواه وهو المدير المتصرف فلا مدير ولا مصرف سواه.

### ◆ ساق فيه قول الله تعالى: ( وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر )

تتمة هذه الآية: ( وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون )

والظن: هو الوهم، حكى الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية مقالة مشركي العرب ومن على شاكلتهم من الدهرية

وذلك - أيها الإخوان - أن:

- من طوائف بني آدم من تنكر المبدأ والميعاد،
- ومن طوائف بني آدم من تثبت المبدأ وتنكر الميعاد،
- والمؤمنون يثبتون المبدأ والميعاد،

(١) فأما الذين ينكرون المبدأ والميعاد: فهم الفلاسفة القائلون بقديم العالم وخلود العالم وهؤلاء ملاحدة - والعياذ بالله - يعني ينكرون أن يكون الله - سبحانه وتعالى - خلق الخلق بل يزعمون أن هذا العالم قديم متناهي في القدم ليس له أول ويشبه هؤلاء أصحاب نظرية دارون مثلا الذي يعني لا يثبت قصة بدئ الخلق خلق الله تعالى لأدم وحواء، ويزعم فيه تهوكاته أن بدئ الخلق كان من مخلوق أو جسم لا يرى بالعين المجردة ثم تطور في حلقات من النمو والارتقاء حتى وصل إلى مرتبة القرودة العليا ثم مع تقادم الزمن تحول إلى صورة إنسان إلى غير ذلك من الخرس كما سماه الله ظن وخرس لا يقوم على أساس من الصحة فهذا لون وهم الفلاسفة الذين ينكرون المبدأ والميعاد ويقولون بقديم العالم وبخلود العالم فلا يرون أن ثم نهاية بل قالوا يتماهى ويتسلسل فقالوا بالتسلسل من الجهتين

(٢) النوع الثاني: الذين أثبتوا المبدأ وأنكروا الميعاد وهم مشركوا العرب ومن على شاكلتهم، أثبتوا المبدأ.

ما الدليل على إثباتهم المبدأ؟

- أن الله تعالى قال: ( ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ) إذا قد أثبتوا المبدأ لكنهم ينكرون الميعاد في آيات كثيرة منها هذه الآية

(وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا): أي ليس ثم إلا هذه الدنيا التي نعيشها

( نموت ونحيا ): بمعنى يموت بعضنا ويولد بعضنا كما قال قائلهم " أرحام تدفع وأرض تبلع وما يهلكنا إلا الدهر " هكذا تصوروا الحياة منزوعة الحكمة أرحام تدفع مواليد جدد وأرض تبلع أموات يدسون في التراب وليس ثم بعد ذلك شيء (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير).

( وما يهلكنا إلا الدهر ): - وهذا هو موضع الشاهد قولهم - ( وما يهلكنا إلا الدهر ) يعني مرادهم أننا لا نهلك إلا بمرور الزمان وصوارف الزمان كما كانوا يقولون في الجاهلية أصابتهم قوالب الدهر أبادهم الدهر يا خيبة الدهر إلى غير ذلك مما ينسبونه إلى الدهر في جاهليتهم قالوا (وما يهلكنا إلا الدهر ) أي بمرور الزمن ( وما لهم بذلك من علم ) يعني أن دعواهم تلك ليست مبنية على علم ولا على دليل ( إن هم إلا يظنون ) أي ليس عندهم إلا مجرد الخرس والظن الفاسد

واعلموا - يارعاكم الله - أن كل اعتقاد فاسد فهذا منشأ الظن الفاسد والتخرس والتهوك، والعلم اليقيني العلم الثابت هو ما كان من عند الله - عز وجل - أو من معصوم من أنبيائه الكرام وأما سوى ذلك مما يعني تفتتق عنه وتنضح به بل وتتقيأ هذه العقول الفاسدة فهذا لا يعول عليه.

#### ◆ إذا مناسبة هذه الآية للباب ظاهرة:

لأنها مطابقة حيث قالوا (وما يهلكنا إلا الدهر) فنسبوا الفعل إلى الدهر فأذوا بذلك الله - عز وجل - حيث صرفوا صفة التدبير والأمر لغيره والله قال (ألا له الخلق والأمر)

#### ◆ فنستفيد من هذه الآية فوائد منها:-

- أولا: إثبات البعث والرد على منكريه وهم هؤلاء الدهرية
- وفيها أيضا فساد مقالة الدهرية من أن مبناهما على مجرد الظن
- أيضا نستفيد من ذلك أن أي مقالا لا بد أن يقوم على دليل وإلا ردت على صاحبها
- ونستفيد فائدة لطيفة أيضا هو أنه لا يلزم من الأذية الضر
- طيب تبعا لذلك لنذكر فائدة كررها حيث:

#### ◆ قسم سب الدهر إلى ثلاثة أقسام:-

-القسم الأول: أن يقصد بذلك الخبر المحض؛ فهذا جائز لا بأس منه مثل ماذا مثل أن يقول إنسان على سبيل الخبر المحض والله هذا يوم شديد الحر تعبنا من شدة الحر هذا يوم قائف أو هذا يوم بارد فهذا قاله خبر ومما يشهد له أو لصحته قول لوط عليه السلام (هذا يوم عصيب) خرج منه مخرج الخبر لا الاعتراض والتبرم

-القسم الثاني: أن يسب الدهر بوصف فاعل فهذا شرك اكبر لأنه أثبت خالقا مع الله - عز وجل - وهذا نقض لعقد الربوبية

-القسم الثالث: أن يسب الدهر لا باعتقاد أن الدهر هو الفاعل لكن لكونه محلا لهذا الأمر المكروه فهذا محرم، لا لأنه من الشرك، لكنه محرم لما فيه من الاعتراض على القدر كأن يقول مثلا على سبيل التبرم والضيق ما هذا اليوم، ما هذا الشهر، ما هذا كذا يعني كأنه ينسب البؤس والضرر أو غير ذلك إلى هذا الزمن والزمن لا شأن له بذلك فهذا محرم لما فيه من الاعتراض على القدر.

ثم ذكر الشيخ - رحمه الله -

◆ ما رواه وفي الصحيح:

بل هو في الصحيحين حقيقة قد رواه البخاري ومسلم بل ورواه بعض أهل السنن كأبي داود والنسائي من:

حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال " قال الله تعالى ":

إذا الحديث حديث قدسي، حديث إلهي لفظه من النبي ﷺ ومعناه من الله - عز وجل -،

"قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر" إذا الجملة بعد قوله يؤذيني ابن آدم جملة تفسيرية لقوله

"يؤذيني ابن آدم"

ما نوع الأذى ما صفة الأذى؟ أقلب الليل والنهار يسب الدهر وأنا الدهر

يسب الدهر: أي يذمه ويلومه عند حصول المصائب التي وقعت عليه

"وأنا الدهر" هل هذا يدل على أن من أساء الله الحسنى الدهر؟

إن قال قائل ليس هناك أصرح من هذا الدليل (وأنا الدهر) وهذا كلام وجيه، لكن النبي - صلى الله عليه وسلم -

بين لنا أن الله تعالى لم يرد بذلك أن يسمي نفسه لأنه فسر قوله "وأنا الدهر" بقوله "أقلب الليل والنهار" إذا ثم

مُقَلَّبٌ ومُقَلَّبٌ ولا يمكن أن يكون المُقَلَّب هو المُقَلَّب

"الليل والنهار" هما الدهر، ما الدهر؟ الدهر هو ساعات الليل والنهار، فلا يمكن أن يكون المقلب هو المقلب إذا

قوله:

"وأنا الدهر" يعني أنا مالك الدهر أنا مصرف الدهر لأنه هو - سبحانه - الدهر وحده،

ومما يدل على أن هذا ليس من الأسماء الحسنى أن الدهر اسم جامد لا يحمل معنى الحسن ونحن نعلم من كتاب

الله أن أسماء الله الحسنى قال الله تعالى ( والله الأسماء الحسنى فادعوه بها ) فأبي حسن يعطيه له الدهر؟! إذا رأيت

بقية أسماء الله الحسنى وجدت أنها دالة في مبنائها على معنا حسن السميع العليم الحكيم الرحيم لكن الدهر لا

يعطي معنا يدل على الحسن فهو اسم جامد.

فلذلك قلنا إن الدهر ليس من الأسماء الحسنی وأن قوله "وأنا الدهر" أي أنا صاحب الدهر أو مالك الدهر وما أشبه ذلك ويبين هذا قوله بعده أقلب الليل والنهار فلا يدعي مدع بأن الدهر من أسماء الله الحسنی لأننا نقول له ثم مُقَلَّبٌ ومُقَلَّبٌ فالمُقَلَّبُ هو الله تعالى، والمُقَلَّبُ هو الدهر الذي هو الليل والنهار

قال "وأنا الدهر أقلب الليل والنهار" وفي رواية تلکم الرواية عند مسلم وعند أحمد - رحمهم الله - "لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر"، وكما قلنا أيضا فإن الله هو الدهر أي أن الله هو الذي يجري فيه ما يريد - سبحانه وتعالى - من خير وشر وعز وذل وغنى وفقر وصحة ومرض وما شاء سبحانه بمقتضى حكمته

#### ◆ فالحديث مناسب للباب مناسبة بينة:

إذ أن فيه أن من سب الدهر فقد آذى الله لأنه قال يؤذيني ابن آدم

#### ◆ ونستفيد من الحديث:-

- تحريم سب الدهر ولا نخرج من هذا إلا ما خرج مخرج الخبر المحض كما أسلفنا أن يقول يوم قاتل يوم شديد البرد ما أشبه ذلك، وأما ما سوى هذا فهو يتراوح بين إن يكون شرك أكبر إذا اعتقد أنه مؤثر بنفسه فاعل بنفسه وبين أن يكون محرما إذا كان وقع على سبيل الاعتراض على القدر مع اعتقاده بأن الله هو المدبر.

- أيضا نستفيد إن الدهر خلق مسخر مدبرٌ لله لأن الله تعالى قال "أقلب الليل والنهار" فهو خلق من خلق الله

- وأيضا نستفيد كما بينا أن الدهر ليس من الأسماء الحسنی

- ونستفيد فائدة أخرى وهي قرن الحكم بعلته فإنه لما حكم وقال "لا تسبوا الدهر" قال "فان الله هو الدهر" ينبغي دوما وهذه طريقة قرآنية نبوية أن يقرن الحكم بعلته؛

لأن قرن الحكم بعلته له فوائد متعددة منها:-

(١) ظهور الحكمة فان المرء إذا تبين الحكمة خير من أن لا تبين له ويطيع طاعة عمياء فإذا تبينت له الحكمة كان ذلك أولى.

(٢) ثانيا:- بيان سمو الشريعة: من فوائد قرن الحكم بعلته بيان سمو الشريعة، وأنها شريعة مبنها على الحكمة والتعليم.

(٣) ثالثا:- إمكان القياس فيما يمكن القياس فيه؛ لأن القياس عبارة عن إلحاق فرع بأصل في حكم لاتفاقهما في عله فلا نستطيع أن نقيس إلا بمعرفة العلة فإذا علمنا العلة أمكننا أن نلحق الفرع بالأصل فكل هذه فوائد ناجمة أو ناتجة عن قرن الحكم بعلته وشواهد هذا بالكتاب والسنة كثير.

[قراءة المتن]

فيه مسائل

-الأولى: النهي عن سب الدهر

[الشرح]: وهذا بين لذلك الحديث "لا تسبوا الدهر"

[قراءة المتن]

-الثانية: تسميته أنا الدهر

[الشرح]: نعم فلا نستشرف ذلك بل نقول كما قال الله ثم قال نبيه ﷺ ولا يلزم من إطلاق هذا القول الذي أطلقه

الله منقصة بحال من الأحوال

ثقوا تماما بالله أن كل ما وصف الله تعالى به نفسه أو أضافه إلى نفسه - سبحانه وتعالى - فإنه لا يمكن أن يتضمن

نقصا بوجه من الوجوه حتى لو تبادر للذهن أو توهم متوهم أو استشنع مستشنع فان هذا فساد في التفكير لا في

الوضع فالنص معصوم من أن يدل على معنى فاسد

[قراءة المتن]

-الثالثة: التأمل في قوله "فان الله هو الدهر"

[الشرح]: وناتج هذا التأمل أن نعلم أن المراد أنه صاحب الدهر ومالكه لا لأنه هو نفسه ظرف زمان

[قراءة المتن]

-الرابعة: أنه قد يكون سابا ولو لم يقصده بقلبه

[الشرح]: نعم لعل الشيخ هنا يشير إلى ما يجري على ألسنة العوام من إطلاق الكلام على عواهده ويعني ذكر

الكلمات التي تتم عن اعتراض على القدر فيحصل الأذى وأنتم تعلمون أنه لا تلازم بين النية وحصول الأذى مثلا

أنت مع صاحبك، ربما تقول قولاً لا تضبطه ولا تزنه وزناً دقيقاً، ولا تقصد أيضاً الأذى لكنه يتأذى منه يحصل

كثيراً هذا أن يقول الإنسان كلاماً لا يبالي فيه ولا يضبط عباراته فيخدش مشاعر صاحبه فقد يقع أذى ولو لم يقصد

المتحدث ذلك.

ونتقل إلى الباب الذي يليه

\* \* \*

[قراءة المتن]

## باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: (( إن أحنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك لا مالك إلا الله قال سفيان: مثل شاهان شاه ))  
وفي رواية أغيب رجل على الله يوم القيامة و أحنع قوله أحنع يعني أوضع

[الشرح]

◆ قال المصنف - رحمه الله -: باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

- عقد المصنف هذا الباب في كتاب التوحيد:

لما يشعر التسمي بهذا الاسم المطلق من مشاركة الله تعالى في الربوبية لأن الله تعالى هو الذي يقضي ما يشاء، ويحكم ما يريد فالقضاء المطلق والحكم المطلق إنما هو لله - عز وجل - فإذا قيل قاضي القضاة دل وأشعر بمعنى الإطلاق بخلاف لو قيل قاضي كذا، وقيد بلفظ معين كأن يقال مثلاً قاضي المدينة الفلانية أو البلد الفلاني أو المحلة الفلانية فهذا تقييد لكن حينما يقال قاضي القضاة فإن هذا الإطلاق يشعر بمشاركة الله تعالى في الربوبية فلهذا عقد المصنف هذا الباب ليبين ما ورد فيه من الذم والنهي،

وقوله "ونحوه": يعني ما يقاس عليه كأن يقال مثلاً ملك الأملاك ليس ملك كذا وكذا لا ملك الممالك أو ملك الأملاك سلطان السلاطين ونحو هذه العبارات التفخيمية ولاشك إن هذه النزعة التفاخر في الألفاظ يعني من استدلال الشيطان وأن الذي ينبغي للمؤمن هو النزوع إلى الاتضاع لله - سبحانه وتعالى - ومجافة هذه الألقاب المفخمة

ساق المصنف - رحمه الله - في هذا وربما سحب هذا أيضاً حتى على أصحاب المناصب الدينية كأن يقال قاضي القضاة وكأن يقال في الطرق الصوفية سيد السادات ونحو هذا كل هذه الألفاظ شبيهة بقاضي القضاة

◆ أورد فيه هذا الحديث في الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال "إن أحنع اسم"

أحنع: كفانا المصنف - رحمه الله - بيانه فقد قال قوله أحنع يعني أوضع، أحنع الخنوع: هو الضعة الضعة المقصود بها هنا الضعة المذمومة يعني التي تدل على البذاءة ونحو هذه المعاني

"إن أحنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك": آدمي لا يملك أن يدفع عن نفسه ولا يجلب لنفسه نفع لا يدفع ضراً ولا يجلب نفعاً لو آلمه درسه لسهر الليل، لا يستطيع أن يصبر عن طعام أو شراب، لا يستطيع أن يمسك الأذى في بطنه يحتاج إلى أكرمكم الله إخراجهم ومع ذلك يسمى ملك الملوك كما قيل في بيت ألقاب مملكة في غير موضعها كاهلر يحكي انتفاشا صولة الأسد، فمن الناس من يفخم نفسه بهذه الألقاب، وهو لا شيء وهذه نزعة

يعني منحرفة نزعة شاذة، وقد قال النبي ﷺ: " إن الله أوحى إلى أن تواضعوا"، فالتواضع من صفات أهل الإيمان محبتين ( وبشر المحبتين )، فينبغي أن يتصف العبد بالإخبات لله - عز وجل - وما تواضع عبد لله إلا رفعه والعكس - سبحانه الله - كلما تعالى وانتفش وضعه الله تعالى وشواهد هذا كثيرة، إذا رجل تسمى ملك الأملاك ثم عقب على ذلك بالتعيين:

لا مالك إلا الله: إي والله الملك المطلق - أيها الأخوة - لله - عز وجل -،

أما الملك المضاف إلينا فهو ملك نسبي فإنه لو قال قائل ألسنا نملك نعم نملك قد قال الله - عز وجل -: ( وما ملكت أيانكم)، وقال الله - عز وجل -: ( يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) لا للتملك للذكر وقال تعالى: ( إنما الصدقات للفقراء ) لهم تملك لكن هذا الملك ملك محدود زمانا ومكانا، وقدرا ليس ملكا مطلقا،

ولذلك يموت ابن آدم ويخلف ما وراءه ويتنقل إلى وارثه ( إنا نحن نرث الأرض ومن عليها والينا يرجعون ) فالملك الذي ننسبه إلى أنفسنا حينها نقول هذا البيت ملكي، وهذا الكتاب ملكي، وهذه السيارة ملكي إنما هو ملك نسبي إنما المالك حقا هو الله لا مالك إلا الله، وفي هذا رد على من ادعى انه ملك الأملاك ونازع الله تعالى في أخص خصائصه،

"قال سفيان" وهو سفيان ابن عيينة - رحمه الله - "مثل شاهان شاه" هذه لفظة أعجمية لازال العجم إلى وقت غير بعيد يستعملونه عند بعض الملوك المتأخرين يقولون شاهان شاه ويقال الشاه ومعناها عندهم أي ملك الأملاك فهي معنى الكلمة بالأعجمية

وفي رواية: تلكم الرواية عند مسلم في صحيحه

"أغبط رجل" - أعاذكم الله - الغبط بمعنى الغضب والبغض والأسى كلها كلمات متقاربة تضاف إلى الله، الغبط والغضب والبغض والسخط ( فلما آسفونا ) ( ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله ) ( كبر مقتا ) أيضا المقت كل هذه معاني تدل على صفات فعلية تليق بالله - عز وجل - ليس في إضافتها إلى الله أدنى منقصة لأن الله تعالى وصف بها نفسه .

أغبط رجل على الله: يعني أنه بغيض عند الله والعياذ بالله،

والله تعالى يحب ويبغض:

- يقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْغُضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَاطٍ سَخَّابٍ فِي الْأَسْوَاقِ جِيْفَةٌ بِاللَّيْلِ جِمَارٌ بِالنَّهَارِ عَالِمٌ بِالدُّنْيَا جَاهِلٌ بِالْآخِرَةِ» .



- نعم ويجب الله - سبحانه وتعالى - من عباده المتقين، والمقسطين، والمحسنين، والذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص.

◆ \*إذا هذا الحديث مناسبتة للباب ظاهرة:

لما فيه من النهي عن التسمي بهذا الاسم القبيح قاضي القضاة وملك الملوك وما أشبه هذا

◆ \*فنستفيد من هذا الحديث:-

- تحريم التسمي بقاضي القضاة وما شابه ذلك، لكن لو قيل قاضي قضاة الديار كذا وكذا هذا بات مقيد

-فيه أيضا وجوب احترام جناب الرب ومراعاته

-فيه أيضا فضل التواضع والإخبات

-طيب فيه أيضا إثبات صفة الغيظ لله - عز وجل -

-وأيضا أنه يتفاضل فيه أيضا إثبات صفة الغيظ لله تعالى من أين أخذناها؟ إن أغيظ، وأنه يتفاضل من أين أخذنا

أنه يتفاضل؟ لأنه على وزن أفعل تفضيل

-طيب فيه أيضا ما تقدم من قرن الأحكام بعلمها لأنه قال لا مالك إلا الله فبعد أن حكم علل

◆ ما رأيكم في بعض الألفاظ المفخمة التي قد تطلق مثلا حينما يقال شيخ الإسلام أو حجة الإسلام أو مثلا آية الله

أو الإمام هل في ذلك حرج؟

في الواقع أن هذه الألفاظ ليست من نفس قاضي القضاة وسلطان السلاطين وسيد السادات لا لأنها لا تحمل معنى

الإطلاق ومنازعة الأمر التدبير والحكم الكوني وإنما هي تدل على تبخر في الشريعة

فحينما يقال:

شيخ الإسلام:

يعني أنه قد بلغ الإمامة في الدين بحيث أصبح مرجعا لأهل الإسلام وشيخا لهم، كذلك:

حجة الإسلام:

يعني يراد أنه عالم بحجج الإسلام ودلائله،

◆ يبقى النظر بعد ذلك هل ينطبقان على من أطلق عليه أم لا؟

فلو قال طالب علم مبتدئ "معكم شيخ الإسلام فلان"، لا نقره على هذه الدعوى لا يصح أن يدعي هذه

الدعوى العريضة. لكن حينما يقال شيخ الإسلام ابن تيمية فلا ينكر عليه لأن الرجل جدير بهذا اللقب شيخ

الإسلام الهروي شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني وهكذا من أئمة السلف المتقدمين فإنهم يستحقون هذه الألقاب

أو حينما يقال أمير المؤمنين في الحديث عبد الله ابن المبارك أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري وهكذا هذا منطبق فيسلم ويقبل، وأيضا إذا قيل حجة الإسلام ليس المقصود حينما يقال حجة الإسلام انه هو أحد مصادر الاحتجاج لا، الاحتجاج فقط بالكتاب والسنة والإجماع هذه مصادر الاستدلال فحينما يوصف شخص بأنه حجة الإسلام فالمراد بأنه عالم بالاحتجاج وأدلة الإسلام لا أنه هو بنفسه معصوم وإنما يقول حجة. طيب:

آية الله: هل يصح أن يوصف مخلوق بأنه آية الله؟ الواقع أن كل مخلوق آية من آيات الله كما قال المعتز في كل شيء له آية تدل على أنه الواحد، فكل واحد منا آية من آيات الله بل فينا في أسماعنا وأبصارنا آيات لكن غالبا ما تستخدم هذا اللفظ عند الروافض لتبجيل مشايخهم وهم ليسوا جديرين بذلك فليسوا آية في العلم بل هم آية في الجهل. طيب:

### الإمام:

كذلك الإمام ينبغي يصح أن يوصف شخص بأنه إمام؛ لأن الله - عز وجل - قال ( وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ) فيمكن أن يوصف أحد بالإمامة لأن الإمام من شأنه أن يقتدي لكن يبقى النظر بعد ذلك في هل يستحق هذا الوصف أم لا؟

وقد جرى توسع، فقد صار بعض الناس يطلق لفظ الإمام على من ليس بإمام ليس متبوعا وإنما يكون على حبر من العلم لكن لا يبلغ مرتبة الإمامة لأن الإمامة تكون للأئمة المتبوعين مثل أحمد والشافعي وأبو حنيفة ومالك والسفيانان الثوري والأوزاعي وغير ذلك من الأئمة المتبوعين،

أما آحاد العلماء فيقال عنهم عالم مفتي فقيه محدث ما أشبه لأنه لا يسقط عليه وصف الإمامة إلا إذا كان له أتباع. طيب إذا المهم أنه ينبغي لنا - معشر طلبة العلم - أن نتوقى في الألفاظ وأن نتخفف منها وأنتم تلاحظون أن هذا الزمن زمن الألقاب وليس هذا زمن بل في أزمنة حقيقة سبقت كثرت فيه الألقاب

فلا تتشوف يا طالب العلم لهذه الألقاب حتى الألقاب العلمية من ألقاب دكتور أستاذ إلى غير ذلك إذا خرج ذلك مخرج الخبر والتميز فلا بأس لكن التزين به والتشوف له هذا نوع انحراف في النية وعلى الإنسان أن يغتبط بنعمة الله عليه أن أحل في قلبه العلم والإيمان هذا أعظم مفروح به ولا تغني هذه الألقاب عنك شيئا. فلا تحرص على أسماء المناصب والمراتب وغير ذلك فإنها لا تقدم ولا تؤخر.

هل سمعتم يوما بأنه قيل فضيلة الشيخ عمر بن الخطاب أو سماحة الإمام أبو بكر الصديق لا والله يقال أبو بكر يقال عمر، يقال عثمان، يقال علي - رضي الله عنهم أجمعين - بل كانوا أقل الناس تكلفا وأعمقهم علما - رضي الله عنهم - في أنهم أصابوا كبد الحقيقة وباشروا لب الدين ولذلك استغنوا بها عن الألقاب وإنما يتطلب هذه الألقاب من يريد أن يرفع عيبه - عافانا الله وإياكم -

[قراءة المتن]

فيه مسائل

-الأولى: النهى عن التسمي بملك الأملاك

[الشرح]: نعم وهذا ظاهر بين

[قراءة المتن]

-الثانية: أن ما في معناه مثله كما قال سفيان

[الشرح]: سفيان - رحمه الله - قال مثل شاهان شاه

[قراءة المتن]

-الثالثة: التفطن بالتغليظ في هذا ونحوه مع القطع بن القلب لم يقصد معناه

[الشرح]: صحيح يعني الشيخ - رحمه الله - يشير إلى أنه ينبغي أن نتفطن إلى أن هذا الأمر مما يستجلب غضب الله

وغيظه فلا يقولن قائل أصل أن والله ما قصدت والله ما أردت هذا لا يغير من الواقع شيء لا يتعلل الإنسان بأنه لا

يبالي ولا قصد ولا أراد الكلام هل هذا محبوب لله أو مبغوض له

-الرابعة: التفطن أن هذا لأجل الله سبحانه

[الشرح]: كذلك أن هذا لأجل الله تعالى يعني ترك هذه الأسماء المبهرجة إنما يجب أن يكون احتراماً لجناب الرب -

سبحانه وتعالى - وإبلاغاً في توحيده سبحانه وعدم منازعته في شيء من خصائصه.

[ قراءة المتن ]

## باب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك

"عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم فقال له النبي ﷺ إن الله هو الحكم واليه الحكم، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني، فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال: ما أحسن هذا، فما لك من الولد قلت شريح، ومسلم وعبد الله قال: من أكبرهم، قلت: شريح، قال: فأنت أبا شريح" [ رواه أبو داود وغيره ]

[الشرح]

قال المصنف - رحمه الله --:

## ◆ "باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك"

مراده في قوله "باب احترام": يعني باب وجوب احترام أسماء الله تعالى، والمراد بالاحترام التعظيم لأن لها حرمة، وتغيير الاسم لأجل ذلك: يعني تحويله وقلبه وتعديله، وما أشبه لأجل ذلك، أي من أجل ذلك يعني لأجل احترام أسماء الله تعالى.

## ◆ فمناسبة هذا الباب وهذه الترجمة لكتاب التوحيد ظاهرة

لأن احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم من أجل ذلك الاحترام مما يحقق التوحيد.

## ◆ فذكر فيه حديث أبي شريح

وأبو شريح: صحابي جليل واسمه هانيء بن يزيد الكندي وكان ممن نزل الكوفة - رضي الله عنه - وتوفي بالمدينة سنة ثمان وستين.

"عن أبي شريح انه كان يكنى" الكنية هي ما صدر بأب أو أم أو ما شابه بأب وأم أو عم أو خال كل ذلك يعد كنية \* واللقب يختلف عن الكنية:

- أن اللقب هو ما أشعر بمدح أو ذم،
- أما الكنية فهي ما صدر بأب وأم أبو فلان أم فلان أو حتى لو كان يقال عم أو خال أو أخ يا أخا بني فلان كل هذا يعد كنية

"أنه كان يكنى أبا الحكم": أي بمعنى أنه كان يكنى أبا الحكم لا أنه له ولد اسمه الحكم لكن لما اعتقد فيه قومه فيه السداد والصواب والقطع في الأحكام فقالوا أبا الحكم فالأبوة هذه ليست أبوة ولادة ولكنها تشعر بأنه اسم استوعب الحكم واختص به، فلذلك أنكر النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ:

"إن الله هو الحكم واليه الحكم" إي والله إن الله هو الحكم

إذا هذا دليل أن الحكم من أسماء الله الحسنى  
ومعنى أنه الحكم - سبحانه - : يعني أنه الحاكم ومن له الحكمة

فهي تدل على معنيين:

- الحكم

- والحكمة

فهو حاكم بمعنى أنه إذا حكم فلا راد لحكمه

وأن له الحكمة وهو وضع الأمور في مواضعها الصحيحة، فقال: "إن الله هو الحكم واليه الحكم"  
ومما يدل على هذا الكلام النبوي:

- قول الله تعالى: ( وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله )

- وقال سبحانه ( لا معقب لحكمه )

فالحكم لله هو الحكم فقال معتذرا - رضي الله عنه - فقال:

"إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين"

ما مصدر الرضا؟ أنه كان مسددا أنه كان موافقا

وهذه صفة لبعض الناس تجد أنه مثلا يستوعب الموقف يزن الأمور ويرى ما يطلب هؤلاء وما يطلب هؤلاء  
ويوائم بينهما وتتضح له الصورة فيأتي بحكم مرض لكلا الطرفين أو الأقرب، فيصدرون راضين، ولهذا أعجب  
النبي ﷺ لذلك فقال:

"ما أحسن هذا" وهذا من كمال إنصافه ﷺ ما قال النبي ﷺ ٥٦:٤٤ @ لا قال النبي ﷺ ما أحسن هذا يعني أن

هذا الشيء المشار إليه شيء حسن لكن الاعتراض على التسمية

ثم بعد ذلك تأمل حسن التربية ما تركه هكذا بلا لقب ما نزع عنه اللقب وبقي لا يجمل لقباً عوضه فقال له:

"فما لك من الولد؟ فقلت: شريح ومسلم وعبد الله" هؤلاء أبنائه الثلاثة

"فقال من أكبرهم؟ قلت: شريح، قال: أنت أبا شريح"

رواه أبو داود وغيره والبيهقي وإسناده حسن

◆ طيب إذا هذا الحديث في الحقيقة مناسب للباب:

لأنه يدل على منع التسمي بما يختص الله تعالى به من الأسماء وتغييره إلى ما يكون مناسب، مناسبه للباب واضحة  
الحديث والقصة تدل على منع التسمي بما يختص الله تعالى به من الأسماء وتغييره إلى ما كان مناسب، وكذلك  
التكني، كلاهما من باب واحد.

◊ \*إذا نستفيد من هذا الحديث الفوائد التالية:-

-أولا: تحريم التسمي باسم من أسماء الله تعالى التي تختص به وكيف لنا أنها تختص به؟ ما أشعر بالإطلاق فإنه يدل على الاختصاص

القاعدة: أنه يجوز أن يسمى المخلوق بما يسمى به الخالق على اعتبار أن ما للمخلوق يليق به وما للخالق يليق به والأمثلة على ذلك كثيرة:

- قال الله تعالى ( ولها عرش عظيم ) مع أن العظيم من أسماء الله
- قال تعالى ( قالت امرأة العزيز ) مع أن العزيز من أسماء الله
- ( وقال الملك ) مع أن الملك من أسماء الله

لكن:

- إذا اشعر الإطلاق بالاختصاص
- أو إذا أشعرت الكنية أو الاسم للإطلاق والاستيعاب للمعنى هذا لا يجوز

مثاله:

- "الرحمن" لا يجوز أن يتسمى مخلوق بالرحمن
- لا يجوز أن يتسمى مخلوق بالمتكبر هذا مما يختص الله به، كذلك إذا أشعرت بالاستيعاب كقوله أبو الحكم فهذا يدل على كأنها استوعب الوصف كله هذا هو المحمول
- نستفيد أيضا أن الحكم من أسماء الله الحسنى فمن اهتدى لإحصاء أسماء الله الحسنى فإنه يجد في هذا النص أصلا في إثبات هذا الاسم
- فيه أيضا جواز التحاكم إلى من هو أهل، يعني لو مثلا اختصم شخصان وقال لا حاجة لأن نذهب إلى المحاكم الشرعية والقضاة المعينين رضينا بفلان يمكن، يمكن لا بأس
- وقد كان الصحابة يفعلون ذلك فيما بينهم فلو تحاكما في تراض منهما إلى شخص أهل للحكم فلا حرج حكمه نافذ فيه لكن بشرط الأهلية أن يكون صالحا للأمر مؤهلا له وحكمه في هذا ملزم وقد ذكر الله ذلك فقال في الآية ( حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما )
- والقول الراجح في هذه المسألة أن حكم الحكمين ملزم وليس معلن فقط وإلا لا فائدة من وجود الحكمين إذا كان

يمكن أن يؤخذ بقولهما أو يرد

-أيضا أن المشروع أن يكنى الرجل بأكبر أولاده؛ لأن الشرع في الحقيقة يراعي السن لهذا قال النبي ﷺ كبر الكبرى

وينبغي البداءة بالأكبر في التقديم خلافا لما يفعله بعض الناس يبدؤون أحيانا باليمين يقول لا أتفضل من اليمين لا في الحقيقة ينبغي البداءة بالأكبر ومن صورته مثلا أن إذا دخلت مجلسا وأردت مثلا التسليم أو تطعم أو نحو ذلك من باب الإكرام ألا تبدأ بمن عن يمينك بالنسبة للمجلس بل اقصد المقدم منهم والكبير فابدأ به وهذا لمراعاة الكبر فكذلك في هذه القصة قال النبي ﷺ فمن أكبرهم قلت شريح إذا يكون التقديم للأكبر -وفيها أيضا مشروعية تغيير الأسماء المذمومة أو غير الجائزة وهذا كثير له صور متعددة في هذا الأمر، ومنها ما جاء من تغيير النبي ﷺ لبعض الأسماء المستبشرة أو الأسماء التي فيها يعني نوع من الإكرام أو المبالغة فمثلا نهى النبي ﷺ عن أو غير أو أراد أن يغير اسم حزن إلى سهل وغير اسم ضره إلى زين فهذا أيضا من باب الآداب الشرعية

◆ نستمع إلى المسائل..... [ قراءة المتن ]: فيه مسائل

-الأولى: احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه

[الشرح]

طيب وهذا بين في قصة أبي شريح إن الله هو الحكم النبي ﷺ استدرج عليه هذه الكنية مع أنه لم يقصد بذلك منازعة الله تعالى في وصف من أوصافه واسم من أسماؤه

[قراءة المتن]

-الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

[الشرح]: لفعله ﷺ

[قراءة المتن]

-الثالثة: اختيار أكبر الأبناء لكنته

[الشرح]: لقوله "فمن أكبرهم" لكن هل يقال فمن أكبرهم حتى لو كانت أنثى لا إنما يكنى الرجل بأكثر أبنائه،

والله أعلم؛